

## محمد رضا النحوي (ت ١٢٢٦هـ) حياته وشعره

مهدي عبد الامير مفتن

مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

### الفصل الأول

#### اسمه

هو محمد رضا بن الشيخ احمد بن حسن بن علي بن الخواجة الحلبي النجفي الشهير بالشاعر<sup>(١)</sup>. شاعر عصره وأديبه غير مدافع، فاق أبيه في الشعر، وقد كان عالما فاضلا مجتهدا، محترم الجانب في العراق ، خفيف الطباع ، حبيبا الى النفوس مطارحا للعلماء الذين عاصروهم ، وأحد أبطال معركة الخميس الشهيرة<sup>(٢)</sup>.

وقد كان (( طموح النفس واسع الخيال ، استعبد الرصين من القول وامتك البليغ من الكلام المحكم وانحدر من ميادين الأدب ، لا يلوى على شيء سوى الإبداع، قاصدا موضعا ليس بمقدور احد ان يفكر بالوصول إليه، وربما اشعر الغير ببعض الصور التي يرعاها ولكن تقعده قابليته المحدودة عن مجاراته))<sup>(٣)</sup>، وكان تحويل لغويا واقفا على أسرار العربية ودقائقها<sup>(٤)</sup>.

ولد في أواسط القرن الثاني عشر الهجري ، ولم تعرف سنة ولادته بالضبط. نشأ في الحلة واستمر فيها مدة طويلة من الزمن، وروي انه كان في أوائل شبابه كاسبا بزازا<sup>(٥)</sup>، ثم انتقل إلى النجف ولازم أعلامها وسكن منتدياتها وبرع فيها واشتهر .

#### أساتذته:

يعد والده الشيخ احمد النحوي المعلم الأول له فقد علمه مقدمات العربية من نحو وصرف وبلاغة علاوة على الأدب<sup>(٦)</sup>، فقد كان يرعاه رعاية خاصة ويعلمه ويؤدبه ويطلع على الفنون الأدبية عن طريق الاختبار والتطبيق حيناً وعن طريق التعليم والتلقين أحيانا آخر<sup>(٧)</sup>، ومن ذلك التعليم انه مر يوما على غلام نجار صبيح المحيي رشيق القد وهو يصنع سفينة فرغب الوالد أن لا تفوته هذه الصورة الشعرية الرائعة فقال: أي بني اجز ما أقول واشفع الصدور بالأعجاز ، ثم قال:

يروع بالهجر روعي	ورب ظبي مروع
كدلتني وخضوعي	ذلت له الخشب طوعا
تبغي بهذا الصنيع	فقلت يا ريم ماذا
لرحلتي ورجوعي	فقال ابغي سفينا

شراعتها من فوادي وبحرها من دموعي<sup>(٨)</sup>

ومن إرشاداته الأدبية والأخلاقية لولده ، وفيها من البديع فنون ، قوله:

بني استقم بالعود تنمي عروقه  
ولا تطع الحرص المنزل وكن فتى  
وعاصي الهوى المردي من ملحق  
واسعف ذوي علم فيقبح ان ترى  
واياك والشكوى فلم ير دونها  
قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى  
اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى  
الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى  
على من الى الحر اللباب انضوى انضوى  
شكا بل اخو الجهل الذي ما ارعوى<sup>(٩)</sup>

وهذه التربية والالتزام من قبل أبيه هي التي أدت الى تميز محمد رضا في شعره وتطرقه إلى صور كانت مثار إعجاب شعراء عصره .

ومن أساتذته البارزين الذين لهم الفضل الكبير على النحوي هو السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (ت ١٢١٢ هـ)، فقد كان النحوي منقطعاً إليه وبلغ ما بلغ من الاجتهاد والأدب على يد السيد بحر العلوم، وكان النحوي يطيل الجلوس عنده وخصوصاً في أيام التعطيل كيومي الخميس والجمعة وغيرهما، وقد كان النحوي يمدحه بقصائد كثيرة رائعة، ويروي ان النحوي لما زار الإمام الرضا (ع) سنة ١٢٠٤ هـ وعاد الى النجف سأله السيد ما كانت هديتنا من سفرك هذا؟ فقال النحوي : تخميس الدريدية التي كانت في مدح ابن ميكال<sup>(١١)</sup> فصيرها النحوي في مدح السيد بحر العلوم، فانشده اياها ، ومنها :

عفت العراق لا لقلب مآه  
لكن لمن شرف فيه رمله  
إلى خراسان أجوب سبله  
إن العراق لم أفارق أهله

عن شأن صدي ولا قلى

آل النبي من متى خالفتهم  
صحبتهم دهرًا فما نالفتهم  
وددت ان للحشر قد رافقتهم  
ولا أطبى<sup>(١٢)</sup> عيني مذ فارقتهم

شيء يروق العين من هذا الوري<sup>(١٣)</sup>

ولما فرغ النحوي من الإنشاد سأله عن مقدار جائزة ابن ميكال لابن دريد ، فقال ألف درهم، فخلع السيد بحر العلوم له ألف دينار<sup>(١٤)</sup>.

وقال فيه أيضا :

هو الشهم مهدي هذا الزمان  
فتى قام فيه الهدى واستقاما

ففى جمع الله فيه الهدى  
كما جمع الله فيه الاناما  
أتانا زمان مغيب الإمام  
فكان لنا حين غاب الإماما<sup>(١٥)</sup>

وكان النحوي احد الخمسة الذين كان السيد يعرض عليهم منظومته المعروفة بـ (الدرة) في الفقه لتصحيحها من الناحية الشعرية، وما هذا إلا إعجابا من السيد بالنحوي وتقديرا لمملكته الأدبية المميزة، وكان السيد دائما يستعين به في المحافل الأدبية ويطلب منه ان يتدخل في حل بعض الخلافات الأدبية التي كانت تحصل بين الشعراء، كما هو المعروف عنه في معركة الخميس ومعارك أخرى<sup>(١٦)</sup>، ومن ذلك قوله في إحدى هذه المعارك مصلحا بأمر السيد بحر العلوم:

لعمري لقد ثارت إلى أفق السما  
عجاجة حرب حولت نحوها الثرى  
وجاءت بميدان الخصام فوارس  
تماروا على أمر وليس بهم مرا  
إلى أن يقول عن نفسه:

وحررتها طوعا لأمر أخي علا<sup>(١٧)</sup>  
ولكنني السكيت المقصرا<sup>(١٨)</sup>  
لخدمته مذ كنت كنت محررا

وبقي النحوي في كنف السيد بحر العلوم وعزه وجاهه إلى ان توفي السيد سنة ١٢١٢هـ فرثاه بقصيدة غراء، ثم أبى الإقامة في النجف وارتحل عنها وعاد إلى الحلة وأقام فيها مدة من الزمن<sup>(١٩)</sup>.

ومن أساتذته أيضا الشيخ جعفر كاشف الغطاء<sup>(٢٠)</sup>، فقد تتلمذ عليه في الفقه وبلغ معه النحوي في الاجتهاد ما بلغ، وكان النحوي يمدحه بقصائد كثيرة منها عند قدومه من الحج سنة ١١٩٩هـ

قدم الحجيج فمرحبا بقدومه  
لقدوم من شرع الهدى بعلومه  
هو جعفر من كان احيا مذ نشأ  
من دين جعفر عافيات رسومه<sup>(٢١)</sup>

ولنعرف منزلة النحوي عند أستاذه نقرأ الأبيات التي أرسلها الشيخ جعفر له ، يقول فيها:  
يكلفني صحبي القريض وإنما  
تجنبت عنه لا لعجز بدا مني  
ألم يعلموا أن الكمال باسره  
غدا داخلا في حوزتي صادرا عني  
ألم تر مولانا الرضا نجل أحمد  
إذا قال شعرا لم يحكم سوى ذهني  
على انه للفضل قطب وللنهي  
مدار وفي الآداب فاق ذوي الفن

غدا في الورى ربا لكل فضيلة وحاز جميل الذكر في صغر السن (٢٢)

ففي هذه الأبيات دلالة واضحة على علو منزلة النحوي ومكانته بين أقرانه وتربعه على عرش الشعر في عصره .

ومن أساتذته البارزين أيضا الذين لهم فضل عليه من الناحية الأدبية السيد صادق الفحام الاعرجي (٢٣) ، إذ كان له ابا ثانياً<sup>٢٤</sup> ، وقد كانت بينهما مراسلات ومطارحات ومساجلات شعرية كثيرة ، منها قوله للفحام :

يا اديباً على الفرزدق قد سا  
وبسرّ الحديث اثاره الله  
وبعلم اللغات فاق كثيراً  
بك روض الآداب عاد اريضاً  
إلى أن يقول :

فخذ العفو واعف عوفيت عني  
ومنها أيضا قوله منتصرا للمتنبى ويرد على الفحام (٢٦) :

ارى بعض من جاوز الحد يدعي  
على المتنبى ظل يفخر والذي  
فكم مدّع فضل النبوة قبله  
ولا يدّعيها بعد احمد صادق<sup>(٢٧)</sup>

وقد كان النحوي يعبر عن الفحام بالوالد، وذلك في قصيدته التي رثى فيها الفحام ، منها :  
هوى قمر الأعمار من آل هاشم  
أصم به الناعي ذوي السمع لا نعي  
فيا نائبا لم ينأ عنا وان رمث  
إلى أن يقول :

ويا والدا ربيت دهرأ ببه  
ومن بعد ما ربي وأحسن أيتما<sup>(٢٨)</sup>

### ديوانه

لم يجمع ديوانه في حياة الشاعر ، وإنما بقي في بطون الكتب والمجاميع الخطية إلى أن جمع الخاقاني شعره وقال ((وقد جمعت شعره فتكون منه ديوان صغير وذلك خلال زمن طويل وقد فرغت منه عام ١٣٦٣هـ ويقع في ١٨٠ صفحة ، عدد سطوره ٢١ سطرا))<sup>(٢٩)</sup> ، ولكن هذا

الديوان لم يطبع ولم ير النور - بحسب علمي - وقد توصلت إلى بعض الخيوط التي يمكن أن توصلني إلى ديوانه والاهتداء إليه وتقديمه إلى القراء إن شاء الله من خلال بعض الإشارات في فهارس بعض المكتبات.

وللنحوي تخاميس كثيرة اغلبها مطبوع ، منها تخميسه للمقصورة الديرية، وقد طبع في بغداد وأورده الخاقاني في شعراء الحلة<sup>(٣٠)</sup> والسيد الأمين في الأعيان<sup>(٣١)</sup>، ولكن الخاقاني شرح ألفاظ المقصورة فقط ولم يذكر أي شيء عن أبيات النحوي، والسيد الأمين شرح بعض الألفاظ القليلة جدا في التخميس من غير ذكر المقدمة النثرية الرائعة التي صدر بها النحوي تخميسه<sup>(٣٢)</sup>. وقد خمس النحوي أيضا قصيدة البردة للبوصيري وبانت سعاد وميمية ابن الفارض والسموأل وغيرها<sup>(٣٣)</sup>، واغلب هذه التخاميس مطبوع في بغداد وغيرها ولكن لا وجود لأغلبها الآن في المكتبات ، واغلب الباحثين لم يطلعوا عليها مطبوعة ومحقة في كتب مستقلة..

#### وفاته:

توفي النحوي في الحلة في ٢٦ رجب من عام ١٢٢٦هـ ، قبل وفاة الشيخ جعفر كاشف الغطاء بعامين وقد ناهز الثمانين سنة، ونقل جثمانه إلى النجف الاشرف ودفن فيها مع أبيه<sup>(٣٤)</sup>.

### الفصل الثاني

#### شعره:

للنحوي شعر كثير وجميل، وشعره من الطبقة الأولى، وقد كان شاعر عصره غير مدافع<sup>(٣٥)</sup>، وكان أطولهم باعا في النظم وأنقاهم ديباجة لا يجاريه احد منهم في حلبة، وشعره رصين البناء متين الأسلوب وألفاظه محكمة الوضع لا تكاد تعثر على كلمة مقتضبة في شعره ، وقد جمع فيه بين الإكثار والإجادة ولما اتفق ذلك لغيره<sup>(٣٦)</sup>، وقد كتب في مختلف المواضيع ، ولكن شعره لم يجمع في ديوان مستقل، وقد جمع الخاقاني ما وجده من شعره ولكن هذا المجموع لم ير النور - حسب علمي - وبقي شعره متفرقا في المجاميع المخطوطة والمطبوعة، وإذا أردنا أن نحكم بين هذه المجاميع فنستطيع أن نقول إن أفضل هذه المجاميع وأكثرها إحصاء لشعره هو ما ذكره الخاقاني في شعراء الحلة<sup>(٣٧)</sup>، فقد ذكر نماذج كثيرة من شعره تعطي ولو صورة بسيطة عن نتاج هذا الشاعر الضخم وما غاب أكثر بطبيعة الحال، فقد كان النحوي لا يتكلم ولا يرأس ولا يعاتب ولا يطلب ولا يشير ولا يمازح ولا يغازل الا شعرا وقد عاش عمرا طويلا نوعا ما اذ بلغ الثمانين عاما<sup>(٣٨)</sup>.

وقد نظم النحوي في مختلف الموضوعات والأغراض الشعرية- كما قلنا - ولكن أكثر موضوع نظم فيه وطني على شعره هو مدح السيد مهدي بحر العلوم، فقد انقطع إليه واختص به<sup>(٣٩)</sup>. وسأعرض لهذه الموضوعات بشيء من التفصيل:

### أولاً: المديح

المديح من الأغراض التي أكثر فيها النحوي النظم فقد تكون الصفة السائدة في شعره، وهذه الكثرة طبيعية بسبب الوضع السائد آنذاك وانه من أهل العلم والصلاح ، وأصدقائه وأساتذته من أهل العلم والاجتهاد فكانوا يتبادلون القصائد المدحية فيما بينهم، وأكثر الشخصيات التي مدحها النحوي أستاذه السيد مهدي بحر العلوم، وهذا طبيعي إذا علمنا أن النحوي كان منقطعاً إليه في العلم والأدب ، فهو أستاذه الأول والأخير وله أفضال كثيرة ليس على النحوي وحده وإنما على كل أهل زمانه بلا استثناء، فهو كان الأب الروحي لكل أهل زمانه.

وجاء هذا المدح في مناسبات كثيرة ، منها عند قدومه من الحج ويهنيه ويؤرخ فيها ذلك العام، وهي قصيدة طويلة ، منها:

وأهدي الى المهدي من ذاك ما أهدي  
ولكنها تاتي على قدر المهدي  
لسقت له ما في المثاني<sup>(٤٠)</sup> من الحمد  
ولكن ذا جهدي وغاية ما عندي

اعيد من الحمد المضاعف ما أبدي  
وليس الهدايا قدر ما اهتديت له  
ولو أنني أهديت ما ينبغي له  
على ان ذا في ذاك تحصيل حاصل  
إلى أن يقول:

إن أمه شوقاً ولم يأل من جهد  
يزيد له بالابن ما كان للجد  
إلى جده أكرم باحمد من جد  
لذلك قد ارخته ((ظهر المهدي))<sup>(٤٢)</sup>

فلو كان يدري البيت من كان  
عساه اذا وافاه مستقبلاً له  
وكمّر من الركن اليماني راجعاً  
وقد بان في أرض الغري ظهوره

١١٩٥هـ

وله أيضاً في مدحه، ويهنيه بعيد الفطر:  
مولاي فيك لنا ذا اليوم عيدان  
وما عليك له في السيف سابقة  
العيد يوم وثانيه وثالثه<sup>(٤٣)</sup>  
العيد ذا فضله المعهود فيه بلا

ثانيهما أول والأول الثاني  
ما آدم ورسول الله سيان  
وانت في كل آن عيدنا الآني  
زيادة يتعدها ونقصان

جمعتة شرفا في كل انسان  
ولم تزل عائدا فيها باحسان  
وانت في الفضل فرد ما له ثان<sup>(٤٥)</sup>

ورد الشرائع صافية  
احيي رسوما عافية  
لـولاه كانت خافية  
يمسي ويصبح قافية  
بي لنعوته والقافية<sup>(٤٧)</sup>

قشعريرة من ذلك الالم الطاري  
تعودها مذ كان من خشية الباري<sup>(٤٨)</sup>

فهو يريد أن يقول ان هذه القشعريرة أو الارتجاف ليس بسبب الحمى أو البرد كما يظن الناس وإنما هي بسبب الخوف من الله وخشيته تعالى ، فهذه عادته مع الله وليس كما يظن الناس.

ويتعافى السيد من مرضٍ الم به فيدخل عليه النحوي ويخاطبه:

مرضى ولولاك ما اعتلوا ولا مرضوا  
فمنك في الحاليتين البرء والمرض<sup>(٤٩)</sup>

وقد خمس مقصورة ابن دريد التي كانت في مدح ابن ميكال فحولها النحوي في مدح السيد بحر العلوم عام ١٢١٢هـ، منها قوله:

الى خراسان اجوب سبله  
ان العراق لم افارق اهله

وانت ما زلت مزدادا الى شرف  
العيد كم عاد في الدنيا بسيئة<sup>(٤٤)</sup>  
العيد يثنيه عيد في فضيلته

وله فيه مرتجلا عام ١١٩٨ هـ :

يا ايها المولى الذي  
يا من بنشر علومه  
وابان كل خفية  
وققا<sup>(٤٦)</sup> النبي وحق ان  
يا من يضيق البحر  
وقال فيه وقد اصابته الحمى :

وقالوا اصابته وحاشا علاه  
وما علموا ان تلك من قبل عادة

لقد مرضت فاضحى الناس كلهم  
ومذ برئت من الاسقام قد برئوا

عفت العراق لا لقلب مله  
لكن لمن شرف فيه رمله

عن شنان صدي ولا قلى

وددت ان للحشر قد رافقتهم  
ولا اطبى<sup>(٥٠)</sup> عيني مذ فارقتهم

آل النبي من متى خالفتهم  
صحبتهم دهرًا فما نافقتهم

شيء يروق العين من هذا الورى

بنفسه وقومه كل النذرى

محمد المهدي من تسورا

هم الشآبيب المخلاة العرى  
هم الشناخيب<sup>(٥١)</sup> المنيفات الذرا  
والناس ادحال<sup>(٥٢)</sup> سواهم وهوى<sup>(٥٣)</sup>  
اكرم بها من نسبة عليها  
هم السيول غامر آياتها  
والناس ضحضاح<sup>(٥٤)</sup> ثعاب<sup>(٥٥)</sup> وضى<sup>(٥٦)</sup>

ومن الشخصيات التي مدحها أيضا أستاذه الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، وجاء هذا المدح في مناسبات كثيرة منها عند قدومه من الحج في عام ١١٩٩ هـ :

قدم الحجيج فمرجبا بقدومه  
هو جعفر من كان احيا مذ نشا  
مأمونة في سره وامينه  
وافوا كانجم اسعد مذ احقت  
الى ان يقول:

اهدى السلام الى النبي وما درى  
جزل العطاء فمن ينخ آماله  
ينخ الرجاء بباب غير منهنه  
طبعت خلانقه على محمودها

وله أيضا مجيبا على أبيات بعث بها الشيخ جعفر له ، فقال على الوزن والقافية :

الايها المولى الذي سار ذكره  
ومن كلما اعتاصت وندت عويصة  
اذا نحن اثينا عليك فانما  
ونعنيك بالذكر الجميل فينتهي  
اتاني نظام منك ضمن الوكة  
نظمت النجوم الزاهرات قلندا

ومدح أيضا أستاذه السيد صادق الفحام الاعرجي، وقد كانت بينهما مساجلات ومراسلات كثيرة، لأنهما كانا من شيوخ الأدب ، فمن ذلك قوله:



د بأحكام نظمه وجريـر  
فأوفى علا على ابن الأثير  
من ذويها فضلا عن ابن كثير  
ذا غدير يروي الظما ونمير  
لك لا ينتهي إلى تحريـر<sup>(٦٠)</sup>

وله قصائد قليلة في مدح الأئمة (عليهم السلام) منها في مدح الإمامين العسكريين في سامراء ،  
قال فيها:

على جبهات الدهر ما برحت تبدو  
فما قبلهم قبل ولا بعدهم بعد  
من المجد برد ليس يسمو له برد

يا أديبا على الفرزدق قد سا  
وبسر الحديث آثاره الله  
وبعلم اللغات فاق كثيراً  
بك روض الآدب عاد اريضا  
ورقيق القريرض أضحي رقيقا

هم القوم آثار المعارف منهم  
هم علة الایجاد مبدئ ومنتهى  
هم آل يس الذين ضفى لهم  
إلى أن يقول:

وقولا لحادي العيس إيهأ فكم تحدو  
ترد جنة للوفد طاب بها الخلد  
لديها وميكال بأفنائها عبد  
لسائلهم الا نيل المنى رد<sup>(٦١)</sup>

أريحا فقد أودى بها السير والوخذ  
ورد دارها المخضلة الربيع بالندی  
وزر حيث جبريل على الباب خادم  
وسل ما تشا من سيب بائلهم فما

وله أيضا في الإمامين العسكريين (عليهم السلام) :

فمن شاء ان يعلو بها الافق فليعلو

هي الصافات القب والانيق الفتل  
الى ان يقول:

فطالت على السبع الطباق بها الغفل  
سمى مثلها من ان يقال له مثل  
ولا عرف التوحيد منه ولا العدل  
وامرهم رشد وقولهم فصل<sup>(٦٢)</sup>

بيوت بها السبع المثاني تنزلت  
وكيف وللرحمن فيها ودائع  
وانى ولولاهم لما شرع الهدى  
ومن رائهم حزم وعلمهم هدى

ثانيا: الغزل

لم يكتب النحوي في الغزل كثيرا، أو أن المصادر لم تنتقل لنا من شعره الغزلي سوى الشيء  
القليل الذي لا يعبر عن الواقع الحقيقي عن الغزل في تلك المدة التي كان يكثر فيها الغزل  
لأغراض كثيرة منها للتندر أو للتسلية أو للمباراة أو غيرها ، وعلى أي حال فمن تلك القصائد  
القلائل قوله :

حراسها وسمير الحيّ قد هجعا  
بها سنا بارق من ثغرها لمعا  
واسبلت ذيل فرع للثرى فرعا  
وساطع الطيب من اردانها سطعا  
اجدى عليها وان الخدر ما نفعا  
نضت قناعا بغير البدر ما قنعا  
لما بدت وكأن الليل ما سفعا<sup>(٦٣)</sup>

فبت لذكرها شرقا بدمعي  
معاهد جيرة نزلوا بسلع<sup>(٦٤)</sup>  
يترجم عن قلوب ذات صدع  
فعدب خاطري وأراح سمعي  
تبدد شملها من بعد جمع  
وجودوا منعمين عقيب منع<sup>(٦٥)</sup>

أبت إلا التردد في التراقي  
ووجدهم كوجدي واشتياقي  
دموعهم وكفى في اماقي  
إلى عود وذا هل من لحاق  
يلاقي في الصباية ما يلاقي<sup>(٦٦)</sup>

وافتك زائرة وهناً وقد رقدت  
وظنت الليل يخفي امرها فوشى  
فاوجست رقبة الواشين فالتثمت  
فتمّ لماً مشت جرس الحلي بها  
فعندما علمت ان التحرز ما  
وافت جهازاً على عين الرقيب وقد  
واسفرت فكأن الشمس ما غربت  
وله أيضا :

ذكرت ليالياً سلفت بجمع  
واذكر من نسيم رياض نجد  
واومض بارق في الجزع وهناً  
وغرد طائر يملئ حديثاً  
بجمع لو تعطفتم قلوب  
فمنوا واصلين عقيب هجر  
ومن قوله أيضا :

أقول وللهوى ولع بروح  
بنفسي الجيرة الغادين عني  
وأيديهم تكفكف يوم بانوا  
وهذا قائل هل من سبيل  
وأصفي العاملين هوى حبيب

### ثالثاً: الرثاء

ينقسم الرثاء عند النحوي على قسمين، الأول في الإمام الحسين (عليه السلام) والثاني في العلماء والشخصيات الأدبية. وسأعرض لهذين القسمين:

#### ١- رثاء الإمام الحسين (عليه السلام):

ذكر له في رثاء الإمام الحسين قصيدة واحدة ، أوردها الخاقاني في شعراء الحلة، منها قوله :  
محا سطور العدى من ماء جوهره  
تنشي معاني الثرى منه فلست ترى  
لكنه للنسور الحائمات قرى  
من اثر تلك المعاني للعدى صورا

كالنهر متصل في بحر راحته  
او كالشهاب بليل النقع تحسبه  
إلى أن يقول:

فصوبوا الراي لما سعدوا الفكر  
السيف والسمر والخطي والحجرا  
فليتة لا عدا من قوسه الوترا  
سهما ولكن لاوداج الوصي برى<sup>(٦٧)</sup>

ويمكن القول إن له قصائد كثيرة في رثاء أهل البيت (عليهم السلام) ولكن لم تصل إلينا ولم تنتشر ، وعسى أن نوفق للحصول على ديوانه والوقوف على كل شعره ومنه شعره في أهل البيت (عليهم السلام).

## ٢- رثاء العلماء والأدباء

ارتبط النحوي بعلاقات واسعة وقوية مع علماء وأدباء وشعراء عصره، وكان يحبهم ويحترمهم غاية المحبة والاحترام ومن ثم كان لا يموت واحد منهم إلا ويرثيه بقصائد حارة تعبر عن لوعة وحزن شديد، ومن هذه القصائد الحزينة، قوله في رثاء أستاذه صادق الفحام:

خليلي نوبا عن دموعي بسقيها  
إلى أن يقول:

واخلي نادٍ كان بالفضل مترعا  
وغاضت بحار العلم فيها وقد طمت  
مضى السيد الغطريف<sup>(٦٨)</sup>  
هوى قمر الاقمار من آل هاشم  
والى ان يقول ويعبر عنه بالوالد:

ويا والدا ربيت دهرًا ببره  
لقد كنت لي بالبر مذ كنت مالكا

وله أيضا في رثاء السيد سلمان الكبير الحلي ، وقد وصلت مرثيته هذه في اليوم الثالث من مجلس الفاتحة عام ١٢١١هـ:

ألمّا على دار النبوة وانشدا

فغيني اذا استقطرتها قطرت دما  
وغيض وادٍ كان بالعرف مفعما  
عبابا وقد سامت بأمواجها السما  
الى كرم الآباء زاد تكرما  
فأظلم ذاك الحي فيهم وأعتما

ومن بعد ما ربي واحسن ايتما  
ولا عذر لي ان لا اكون متمما<sup>(٧٠)</sup>

بها قضى من لمّا قضى الدين والهدى

الما عليها لا المّ بربعها  
الما معي نخلع رداء الحيا اسى  
على ابن رسول الله وابن وصيه  
على العالم النحرير<sup>(٧١)</sup> فرد زمانه  
ردا بعد من قد كان يردي به الردى  
على فقد من بالمكرمات قد ارتدى  
ومن وطأ المجد الاثيل ووطدا  
كريم السجايا اكرم الناس محتدا<sup>(٧٢)</sup>

وله أيضا في رثاء السيد محمد علي البغدادي الشهير بالطار عام ١٢٠٢هـ :

دعاه الى الاقصار لو كان اذ دعا  
وساومه الصبر الجميل لو انه  
الى ان يقول :

ذوت بهجة الدنيا وزهر ربيعها  
واقفر نادٍ كان بالفضل مفعما  
وما كان إلا الظل فاء مديده  
رابعا: التخميس<sup>(٧٤)</sup>  
وصوح روض كان بالامس ممرعا  
وغيض نادٍ كان بالعرف مترعا  
فزال وإلا الغيث ارجى فاقلعا<sup>(٧٣)</sup>

للعصر الذي عاش فيه النحوي ولظروفه السياسية الأثر الكبير في شعراء ذلك العصر، فقد كان عصر يكبت الشعور ويضعف التفكير ويكتم الأفواه، فلا مجال لإبراز الخواطر، والدفاع عن مبدأ من المبادئ، لذلك ذهبوا إلى التشطير أحيانا والتخميس أحيانا أخرى، وإلى الولوج بالبديع والتجنيس، ومن ثمّ كثر التخميس والتشطير في هذا العصر بالنسبة إلى أغلب شعرائه، أو قل كل شعرائه.

وبالنسبة إلى النحوي فقد كان له ولع كبير بالتخميس، وقد كانت له قدم راسخة في هذا الفن، وغالبا ما تأتي تخاميسه قوية ومسبوكة مع الأصل، ((فقد خمس المقصورة -الدريدية- بأسلوب يجعلك لا تفرق بين متانة الأصل ورسانة التركيب))<sup>(٧٥)</sup>، وقد خمس النحوي قصائد كثيرة منها: المقصورة الدريدية التي ذكرنا مقطعا منها في مدح السيد بحر العلوم، وخمس قصيدة الفرزدق الميمية التي في مدح الإمام زين العابدين (علي السلام)، منها قوله :

ان امرءاً حبر الرحمن مدحته  
لم يخف قولك من هذا مزيته  
وأوجبت آية القريبى مودته  
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته  
والبيت يعرفه والحل والحرم

هو السراج الذي ابدى دلائله  
فان تكن لست بالمحصي فضائله  
والغي ملق على الدنيا كلاكه  
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله  
بجده أنبياء الله قد ختموا<sup>(٧٦)</sup>

ومن تخاميسه المشهورة تخميسه لقصيدته بانته سعاد لكعب بن زهير ، التي يقول في مطلعها:  
خف القطين وغالت بالحمى غولُ  
فقل وان لم تقل لم ينفع القيلُ  
وازعجتهم نوى في شرحها طولُ  
بانته سعاد فقلبي اليوم متبولُ  
متمم إثرها لم يفد مكبولُ<sup>(٧٧)</sup>

وتخميسه لقصيدته البردة لشرف الدين البوصيري المصري ، ومطلعها:  
مالي أراك حليف الوجد والألم  
ذا مدمع بالدم المنهل منسجم  
أودى بجسمك ما أودى من السقم  
امن تذكر جيران بذي سلم  
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم<sup>(٧٨)</sup>

ومن تخاميسه الأخرى تخميسه لقصيدته ابن الفارض<sup>(٧٩)</sup> والسموأل<sup>(٨٠)</sup> وغيرها كثير<sup>(٨١)</sup> .

### خامسا : التاريخ الشعري

للنحوي كما لشعراء عصره الآخرين ولع بنظم التاريخ الشعري وكانوا يتبارون في هذا المضمار أيهم يأتي بنكتة لطيفة أو تورية جميلة ، وكان النحوي له قصب السبق في هذا المجال أيضا واليد الطولى فلا تكاد تواريخه تخلو من المحسنات اللفظية، ومن هذه التواريخ قوله في ختان العلامة الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء واتفق ان الخاتن له يدعى عبد الرحمن :

تطهر موسى بالختان وإنه  
وما كان محتاجا لذاك وإنما  
فتى طاهر من طاهر متطهر  
جرت سنة الهادي النبي المطهر  
هنالك قد انشدت فيه مؤرخا  
لقد طهر (الرحمن) (موسى بن جعفر)

١١٩٨ هـ

وكذلك قوله في ولادة الشيخ حسن أصغر أنجال الشيخ الأكبر كاشف الغطاء :  
أهلا بمولود له التاريخ قد  
أنتبه الله نباتا حسنا<sup>(٨٢)</sup>

فهو يشير إلى الآية القرآنية (( فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ))<sup>(٨٤)</sup>.

وقوله في اخر قصيدة رثى فيها السيد سليمان الكبير يؤرخ عام وفاته :

وتسعة آل الله وافوا وأرخوا سليمان امسى في الجنان مخلدا<sup>(٨٥)</sup>

١٢١١هـ

ولا يخفى حسن التورية فيه فان مادة التاريخ تنقص في العدد (تسعة) فأكملها بتلك الجملة الظريفة مشيرا إلى عدد أسماء الأئمة من ذرية الحسين (عليهم السلام) .  
هذه أهم الموضوعات التي طرقها النحوي في شعره بالنسبة إلى الأشعار التي وصلت إلينا ، ولو وصل إلينا ديوانه لامكننا أن نجد أغراضاً أخرى وقصائد أكثر تعطي صورة أوضح وأكثر دقة عن قصائده وأسلوبه الشعري ولأمكننا أن ندرس قصائده دراسة فنية أكثر عمقا وأكثر فائدة، ولكن ديوانه - مع الأسف - لم يصل إلينا ، علنا نحصل عليه في قابل الأيام - إن شاء الله - وعند ذلك ندرس الشاعر دراسة فنية وافية.

### الخاتمة

- ١- تسليط الضوء على اسمه ونسبه وبعض الأحوال عن حياته قبل سطوع نجمه وبروزه في الساحة الأدبية والعلمية.
- ٢- تسليط الضوء على أساتذته الذين كان لهم الفضل الكبير والمباشر في تكوين شخصيته الأدبية والعلمية، وذكرنا منهم والده الشيخ احمد النحوي والسيد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء والسيد صادق الفحام الاعرجي، وذكرنا بعض المراسلات والمساجلات التي كانت تحصل بينهم.
- ٣- تسليط الضوء على ديوانه وذكرنا انه لا وجود له اليوم على الرغم من جمعه وطبعه من قبل الأستاذ علي الخاقاني.
- ٤- تسليط الضوء على شعره الذي وصل إلينا في المجاميع الشعرية أمثال شعراء الحلة واعيان الشيعة وغيرها، وذكرنا أهم الأغراض الشعرية التي طرقها الشاعر ، وهي:  
- المديح وقد كان اغلبه في أساتذته وخصوصا السيد بحر العلوم، وله أيضا مديح في الإمامين العسكريين (عليهم السلام) .  
- له في الغزل قصائد قليلة ولكنها تدل على تمكنه في هذا المجال، فقد جاءت على مستوى عال من الإحكام والجمالية وذكرنا بعض هذه القصائد.  
- له في الرثاء قصائد منها في الإمام الحسين (عليه السلام) ومنها في رثاء العلماء والأدباء.  
- ذكرنا له تخاميس كثيرة أهمها تخميس القصيدة الدريدية وبانت سعاد وقصيدة الفرزدق وابن الفارض والسموأل وغيرها.  
- وأخيرا ذكرنا له قصائد في التاريخ الشعري الذي كان عصره مهتما بهذا النوع من النظم

وله ولع شديد به، وذكرنا أن قصائده كانت لا تخلو من محسنات لفظية أو بديعية أو نكت جميلة ، تدل على ذوقه العالي ومستواه الرفيع في اغلب فنون الشعر.

### الهوامش

- (١) تنظر ترجمته في : اعيان الشيعة ٦٦/١٤ ، الطليعة من شعراء الشيعة ٢٢٣/٢-٢٢٤ ، البابليات ٢ / ٣ ، معارف الرجال ٢٧٧/٢ ، تاريخ الحلة ١٢٣/٢ ، ادب الطف ١٤٢/٦ ، الاعلام للزركلي ١٢٦/٦ .
- (٢) معركة الخميس: هي معركة أدبية جرت أحداثها في النجف الاشرف في مجلس كان يعقد كل يوم خميس من كل اسبوع ، وكانت احدى مظاهر النشاط الادبي في العراق، وكان يحضرها عدد كبير من العلماء والادباء والبلغاء. ينظر المعارك الادبية في النجف الغروية ، كاظم محمد علي شكر ، مخطوطة مكتبة كاشف الغطاء ، ص ٤ وما بعدها .
- (٣) شعراء الحلة ٥/٥ .
- (٤) اعيان الشيعة ٦٦/١٤ .
- (٥) ينظر معارف الرجال ٢٧٧/٢ .
- (٦) ينظر البابليات ٤/٢ .
- (٧) ينظر شعراء الحلة ٤/٥ .
- (٨) البابليات ٥/٢ ، شعراء الحلة ٤/٥ .
- (٩) شعراء الحلة ٤/٥-٥ .
- (١٠) المصدر نفسه ٥-٤/٥ .
- (١١) ابن ميكال : هو الأمير أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال ، المعروف لدى المؤرخين انه من ذرية فيروز بن يزيد بن بهرام جور ، وكان من رؤساء خراسان والأهواز وخوزستان من قبل المقتدر . معارف الرجال ٢٧٧/٢ .
- (١٢) استئمال .
- (١٣) شعراء الحلة ١٢٨/٥ .
- (١٤) معارف الرجال ٢٧٨/٢ .
- (١٥) أعيان الشيعة ٦٩/١٤ .
- (١٦) ينظر شعراء الحلة ٢١/٥-٢٢ .
- (١٧) المقصود به السيد بحر العلوم .
- (١٨) شعراء الحلة ٢٢/٥-٢٤ .

- (١٩) معارف الرجال ٢/٢٧٩ .  
 (٢٠) شعراء الحلة ٣/٥ ، معارف الرجال ٢/٢٧٧ ، تاريخ الحلة ٢/١٢٣ .  
 (٢١) شعراء الحلة ٥/٤٥ .  
 (٢٢) البابليات ٢/٧-٨ ، تاريخ الحلة ٢/١٢٤ .  
 (٢٣) شعراء الحلة ٣/٥ ، أعيان الشيعة ١٤/٦٨ .  
 (٢٤) ينظر البابليات ٢/٥ .  
 (٢٥) شعراء الحلة ٥/٣٢-٣٣ ، أعيان الشيعة ١٤/٦٨ .  
 (٢٦) كان الفحام قد قال:

واني نبي الشعر كم لي معجز  
 فدع عنك قول ابن الحسين  
 فكم ما يأتي به الناس كاذب  
 تجلت به للمبصرين الحقائق  
 وان هدرت بالشعر منه الشقاشق  
 تنبى وما يأتي به الناس صادق  
 تاريخ الحلة ٢/١٣٣ .

- (٢٧) تاريخ الحلة ٢/١٣٣ .  
 (٢٨) الديوان مخطوط ، تاريخ الحلة ٢/١٢٤-١٢٥ .  
 (٢٩) شعراء الحلة ٥/١٠ .  
 (٣٠) ٥/١٠٤ .  
 (٣١) ١٤/٩٦ .  
 (٣٢) حصلت على مخطوطات هذه المقصورة وأنا الآن بصدد مقابلتها وتحقيقها وإخراجها بصورة متكاملة إن شاء الله .  
 (٣٣) ينظر شعراء الحلة ٥/٨٣ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٦٦ ، أعيان الشيعة ١٤/٨٤ ، ١١٣ .  
 (٣٤) ينظر البابليات ٢/١٧ ، شعراء الحلة ٥/١٠ ، تاريخ الحلة ٢/١٢٧ ، أعيان الشيعة ١٤/٦٦ ،  
 الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٤/٧ ، الطليعة ٢/٢٣٠ ، معارف الرجال ٢/٢٨٢ .  
 (٣٥) أعيان الشيعة ١٤/٦٦ .  
 (٣٦) ينظر أدب الطف ٦/١٤٢ .  
 (٣٧) ٥/٣-١٦٢ .  
 (٣٨) تاريخ الحلة ٢/١٢٧ .  
 (٣٩) أعيان الشيعة ١٤/٦٦ .



- (٤٠) يقصد سورة الفاتحة .
- (٤١) أي قصده.
- (٤٢) البابليات ١٧/٢ ، اعيان الشيعة ٧٠/١٤ - ٧١ ، شعراء الحلة ٢٧/٥ - ٢٨ .
- (٤٣) يقصد ان عيد الفطر ثلاثة ايام فقط.
- (٤٤) بسبب العادات السيئة لبعض الناس .
- (٤٥) شعراء الحلة ٥ / ٨١ - ٨٢ .
- (٤٦) قفا النبي : تبع النبي .
- (٤٧) اعيان الشيعة ١٤ / ٧١ ، شعراء الحلة ٥ / ٨٢ .
- (٤٨) المصدر نفسه ١٤ / ٦٨ ، المصدر نفسه ٥ / ٣٤ .
- (٤٩) المصدر نفسه ١٤ / ٦٨ ، المصدر نفسه ٥ / ٣٧ .
- (٥٠) استمال.
- (٥١) الشناخيب : اطراف الجبال.
- (٥٢) ادحال : حفر .
- (٥٣) هوى : جمع هوه .
- (٥٤) الضحضاح : الماء القليل .
- (٥٥) الثعاب : جمع ثعب وهو الموضع المطوئن في اعلى الجبل يستنقع فيه ماء المطر .
- (٥٦) اعيان الشيعة ١٤ / ، شعراء الحلة ٥ / ١٢٨ . اضى : جمع اضاة وهي الغدران الصغار، يعني انهم البحور والناس ماء قليل .
- (٥٧) جعفر الاولى : الشيخ جعفر والثانية الإمام جعفر الصادق(ع).
- (٥٨) اعيان الشيعة ١٤ / ٦٨ ، شعراء الحلة ٥ / ٤٥ - ٤٦ .
- (٥٩) شعراء الحلة ٥ / ٤٧ .
- (٦٠) اعيان الشيعة ١٤ / ٦٨ ، شعراء الحلة ٥ / ٣٢ .
- (٦١) شعراء الحلة ٥ / ٢٩ .
- (٦٢) شعراء الحلة ٥ / ١٥٨ .
- (٦٣) المصدر نفسه ٥ / ٣٧ - ٣٨ .
- (٦٤) سلع: اسم مكان .
- (٦٥) البابليات ٢ / ٩ ، شعراء الحلة ٥ / ٤٠ ، تاريخ الحلة ٢ / ١٢٥ .
- (٦٦) البابليات ٢ / ٩ - ١٠ ، اعيان الشيعة ١٤ / ٧٥ .

- (٦٧) شعراء الحلة ٣٥/٥-٣٦ .
- (٦٨) الغطريف : السيد . ينظر لسان العرب ٩/٢٦٩ ، تاج العروس ١٢/٤١٤ .
- (٦٩) الجهيد : الناقد البصير بغوامض الامور ، البارع بطرق النقد . ينظر تاج العروس ٣٥٩/٥ .
- (٧٠) شعراء الحلة ٤١/٥-٤٢ .
- (٧١) التحرير : الحاذق الماهر العاقل المجرب . ينظر لسان العرب ٥/١٩٧ .
- (٧٢) شعراء الحلة ٣٠/٥ .
- (٧٣) شعراء الحلة ٣٩/٥ .
- (٧٤) التخميم في الشعر : هو أن يأخذ الشاعر بيتا لسواه فيجعل صدره بعد ثلاثة اشطر ملائمة له في الوزن والقافية ( أي يجعله عجز بيت ثانٍ ) ثم يأتي بعجز ذلك البيت، فيحصل على خمسة اشطر، ومن هنا التسمية بالتخميم. ينظر المعجم المفصل في اللغة والأدب ١/٣٨٦
- (٧٥) شعراء الحلة ٥/٦٥ .
- (٧٦) شعراء الحلة ٥/٥٤ .
- (٧٧) شعراء الحلة ٥/٥٧ .
- (٧٨) المصدر نفسه ٥/٨٣ .
- (٧٩) المصدر نفسه ٥/٦٩ .
- (٨٠) المصدر نفسه ٥/٦٦ .
- (٨١) ينظر المصدر نفسه ٥/٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ .
- (٨٢) أدب الطف ٦/١٥٤ .
- (٨٣) المصدر نفسه ٦/١٥٥ .
- (٨٤) آل عمران آية ٣٧ .
- (٨٥) أدب الطف ٦/١٥٥ .

### المصادر

- القرآن الكريم .
- أدب الطف أو شعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى لقرن الرابع عشر، جواد شبر - ط ١ - مؤسسة التاريخ - بيروت - ٢٠٠١ .

- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط ٥ ، ١٩٨٠ ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان.
- أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، ط ٥ ، ٢٠٠٠.
- البابليات - محمد علي اليعقوبي - المطبعة العلمية - النجف الاشرف - ١٩٥٤
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محب الدين محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ، تح: علي شيري ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، ١٩٩٤ م .
- تاريخ الحلة ، يوسف كركوش ، ط ١ ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٦٥ م.
- ديوان صادق الفحام الاعرجي ، مخطوطة مكتبة الإمام الحكيم.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، آقا بزرك الطهراني ، ط ٣ ، ١٩٨٣ ، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان.
- شعراء الحلة أو البابليات ، علي الخاقاني، ط ٢ ، دار البيان ، بغداد ، ١٩٧٥.
- الطليعة من شعراء الشيعة ، العلامة محمد طاهر السماوي، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، ط ١ ، دار المؤرخ العربي ، ٢٠٠١.
- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، نشر أدب الحوزة ، قم - إيران ، ١٤٠٥ هـ .
- معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، محمد حرز الدين ، مطبعة النجف ، ١٩٦٤.
- المعارك الأدبية في النجف الغروية ، كاظم محمد علي شكر ، مخطوطة مكتبة كاشف الغطاء
- المعجم المفصل في اللغة والأدب، د.اميل بديع يعقوب و د.ميشال عاصي ، ط ١ ، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان ١٩٨٧.